وإذا كنت المقدام فلا تجزع في الحرب من الرهج

ابو داود والترمذي وغيرهما وسواهم من همج الهمج لخبر الناس رجلان عالم
ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم رواه ابن ماجة بلفظ العالم والمتعلم شريكان
في الخير ولا خير في سائر الناس والهمج جمع همجة وهي الشاة المهزولة والذباب الصغير
الذي يسقط على وجوه الغنم والحمير شبه بذلك غير الهداة في قلة الهمة و
خسة القدر ثم بالغ باضافتهم الى الهمج ثم بالغ بان جعلهم من همج الهمج على طريق التجريد
التشبيهي الذي هو ابلغ انواع التجريد تنبيها على ذم العلم الذي لا ينفع صاحبه
عند الله بان يقصد به حظا او جاها دنيويا فيها ثم لخبر اشد الناس عذابا يوم
القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبراني والبيهقي ولخبر لا يكون المرء عالما
حتى يكون بعلمه عاملا رواه ابن حبان والبيهقي موقوفا على ابي الدرداء وفي البيت المقابلة
والتجريد وهو ان ينتزع من متصف بصفة اخر مثله فيها لاجل المبالغة في كمالها
فيه مثاله في التشبيه لئن لقيت زيدا لتلقين منه بحرا او لتلقين به اسدا يعنون
نفس زيد وانما ظهر جرد غير الهداة من همج الهمج بعد التشبيه مبالغة في الامر ولما
اشار الى عظيم خطر العلم والعمل فيمن قصد بهما قصدا مذموما اشار الى الامر
بالجد فيهما والصبر عليهما ليسلم الاتي بهما من الخطر فقال وإذا كنت
المقدام اي الكثير الاقدام على العدو لشجاعتك والراغب للعهد العلي على
سبيل الدعاء اي الكامل في الاقدام واللام للاستغراق المجازي اي الجامع لخصائص
جنس المقدام كما في قولنا انت الرجل علما فلا تجزع اي تضطرب وفي نسخة
فلا تلوي اي تعرض في الحرب اي القتال من اجل الرهج اي الغبار اي كن
في جدك ونشاطك قوي القلب بالله نافذ العزم فيما تطلبه كالمقدام الذي
لا يرده عن مقصده راد وان عظم واذا كنت كذلك فلا تجزع في مجاهدتك
الشيطان والنفس ومخالفتهما الشبيهة بالحرب من العوارض الشبيهة بالرهج
في الدناءة كوسوسة الشيطان وهوى النفس لانهما يقولان لك ان كنت خلقت سعيدا
لم يضرك ترك العلم والعمل او شقيا لم ينفعاك وادفع هذه الشبهة بان
تقول انما انا عبد الله وعلى العبد امتثال العبودية والرب يحكم ما يشاء
ويفعل ما يريد ولان العلم والعمل ينفعان كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا

اردت

وإذا أبصرت منار هدى فاظهر فردا فوق الثبج
وإذا اشتاقت نفس وجدت ألما بالشوق المعتلج ١٢

ازددت بها ثوابا او شقيا فلا الوم نفسي ولان الله لا يعاقبني في الطاعة على كل
حال ولا يضرني على اني اذا دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص
يكفي وعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب ومما تقرر ظهر
ان الحرب مستعارة للخواطر الواردة على القلب منهما بجامع الدناءة وهذه الا
ستعارة مرشحة للاولى لان الرهج من لوازم المستعار منه وهو القتال فتشبيه
المجاهدة بالحرب استعارة تصريحية واثبات الرهج لها ترشيح وإذا أبصرت
منار هدى الى الطريق المستقيم فاظهر فردا اي فاعلا منفردا فوق الثبج
بفتح الباء اي الوسط او المعظم من منار الهدى لتصير من المختصين به المتمكنين منه
والمنار مفعل من النور وهو ما يحل فيه النور وهو ايضا العلم الذي ينصب في الطريق
للاهتداء به واستعار الابصار وهو رؤية العين للعلم لان المحسوس اجلى من
المعقول تشبيها به في الجلاء والاستعارة بعد تشبيه الهدى بالنور المنار
للدليل الواضح المفيد للعلم والعمل او للشيخ المفيد لذلك فقد قالوا
من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال الشيخ ابو مدين من لم يأخذ ادبه من المتأدبين
افسد من يتبعه وقال ايضا الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار
باطنك باشراقه فتشبيه الهدى بالنور استعارة بالكناية واثبات المنار له
استعارة تخييلية واستعار الثبج لاقوى واشرف ادلة العلم واسباب العمل لان
وسط كل شيء خياره ومعظمه اقواه وال فيه لتعريف العهد الخارجي
لتقدم ما يستلزم مصحوبها وهو منار هدى في البيت التقدم فردا والاتباع
وإذا اشتاقت نفس اي مالت الى محبوبها ميلا يحترق به الاحشاء حتى لا يسكن
باللقاء والتنوين للتكثير والتنويع اي نفوس كثيرة صادقين في الجد راسخة
في المعرفة وجدت ألما تنوينه للتكثير والتنويع ايضا بالشوق اي بسبب
شوقها المعتلج اي الشديد وال في الشوق لتعريف العهد الخارجي لتقدم ما
يستلزم مصحوبها والاشتياق اعلى من الشوق لانه لا يسكن باللقاء كما هو سخاف
الشوق قال ابن عطاء الله والمحبة اعلى من الشوق لانه ينشأ عنها ويوجد
منه انها اعلى من الاشتياق ايضا وفي كل منهما وقفة والوجد حمله على الطالب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)